جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 39 / آذار 2024

مكانة القرآن الكريم في نهج البلاغة

The status of the Holy Quran in Nahj al-Balaghah

وئام محمد أمين قوام الدين نجم الدين
Weam Mohammad Amin Qawam Alddin
أ.م.د أمير جوان آراسته
Asst. Prof. Dr. Amir Juan Arasatih
إيران/ جامعة الأديان والمذاهب
Iran/University of Religions and Sects

الكلمات المفتاحية: أهمية القرآن الكريم، نهج البلاغة، صفات القرآن الكريم، الإمام علي (سلام الله عليه).

keywords: The importance of the Holy Qur'an, Nahj al-Balagha, attributes of the Holy Qur'an, Imam Ali (peace be upon him).

الملخص:

يعد كتاب نهج البلاغة من أهم الكتب عند المسلمين بصورة عامة وعند الشيعة بصورة خاصة فتأتي أهميته في الدرجة الاولى بعد القران الكريم وأحاديث النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، فهو يمثل دائرة معارف من الثقافة الإسلامية تجمع في داخلها معارف مختلفة فأمير المؤمنين (سلام الله عليه) هو القرآن الناطق وهو أعلم الناس بالقرآن الكريم وتفسيره وتأويله من بعد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، فلو أردنا التطرق لكل ما ورد في القرآن الكريم في نهج البلاغة، فإن البحث طويل جدًا. في أكثر من عشرين خطبة في نهج البلاغة تناول الإمام علي (سلام الله عليه) مكانة القرآن الكريم ووصفه وأهميته والحث عليه، وأحياناً يخصص أكثر من نصف الخطبة لبيان مكانة القرآن ودوره في حياة المسلمين وواجبهم تجاه هذا الكتاب السماوي، ونكتفي هنا بتوضيح بعض مكانة وأوصاف القرآن الكريم والحث عليه في نهج البلاغة لما له من أهمية قصوى في حياة المسلمين. ومن هذه الدراسة التى انجزت على المنهج الوصفي التحليلي سنتعرف على مقام القرآن الكريم ويتبين لنا العلاقة الخاصة بين القرآن الكريم وأمير المؤمنين (سلام الله عليه) ويتبين أهمية الحث والرجوع إلى القرآن فإنه أحسن الحديث ونتعرف على ما موجود في القرآن الكريم من الأمور المهمة من أصول الدين وفروعه وغيرها، وكما يتبين وجود وجواز النسخ في القرآن الكريم والسنّة الشريفة، ويتبين جواز تفسير القرآن بالقرآن ومعرفة خطورة التفسير بالرأي، وأيضا في القرآن الكريم أمور غامضة فتحتاج إلى التفسير والتبين ويبين الإمام (سلام الله عليه) بأنه يجب على المفسر المعرفة التامة والضبط والتمرس والتأمل بجميع هذه العلوم، وكذلك يوجد في القرآن ما يحتاج إلى التأويل وهذا التأويل خاص بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) فقال تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}. فمن يتبع طريق الحق والسير على نهج القرآن الكريم والنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت(صلوات الله عليهم أجمعين) يحضى برضا الله عزَّ وجل والفوز في الدنيا والآخرة.

وإن هذه الدراسة على حد علمنا، لم تسبق ذلك من حيث الجمع والاعداد والتأليف، بالطرق المقدمة في هذه المقالة، ونسأل الله عزَّ وجل أن يتقبله بأحسن القبول ويدخره لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون.

Abstract:

The book Nahj al-Balagha is considered one of the most important books for Muslims in general and for Shiites in particular. Its importance comes in the first place after the Holy Qur’an and the hadiths of the Prophet (may God bless him and his family and grant them peace). It is the speaking Qur’an and he is the most knowledgeable of people about the Holy Qur’an and its interpretation and interpretation after the Messenger (may God bless him and his family and grant them peace). In more than twenty sermons in Nahj al-Balagha, Imam Ali (may God’s peace be upon him) addressed the status, description, importance and urging of the Holy Qur’an. The Holy Qur’an and urging it in Nahj al-Balaghah because of its paramount importance in the

lives of Muslims. Through this study, which was completed on the analytical descriptive approach, we will get acquainted with the station of the Holy Qur'an and show us the special relationship between the Holy Qur'an and the Commander of the Faithful (may God's peace be upon him). Among the important matters of the origins of the religion and its branches and others, and as it becomes clear the existence and permissibility of abrogation in the Noble Qur'an and the honorable Sunnah, and the permissibility of interpreting the Qur'an by the Qur'an and knowing the danger of interpretation by opinion, and also in the Holy Qur'an there are ambiguous matters that require interpretation and clarity, and the Imam (peace be upon him) shows that the The interpreter is complete knowledge, control, practice, and contemplation of all these sciences, and there is also in the Qur'an what needs interpretation. } . Whoever follows the path of truth and follows the path of the Noble Qur'an, the Greatest Prophet (may God's prayers and peace be upon him and his family) and Ahl al-Bayt (may God's prayers be upon them all) will be pleased with God Almighty and victory in this world and the hereafter.

And that this study, as far as we know, did not precede that in terms of collection, preparation and composition, by the methods presented in this article, and we ask God Almighty to accept it with the best acceptance and save it for us on a day when neither money nor children will benefit

المقدمة:

لو أردنا التطرق إلى كل مما ورد في القرآن الكريم في نهج البلاغة، فإن البحث طويل جدًا ففي أكثر من عشرين خطبة في نهج البلاغة يتناول الإمام علي (سلام الله عليه) وصف القرآن الكريم ومكانته وأهميته والحث عليه، وأحياناً يخصص أكثر من نصف الخطبة لبيان مكانة القرآن ودوره في حياة المسلمين وواجبهم تجاه هذا الكتاب السماوي، فإن لهذا الموضوع أهمية قصوى في حياة المسلمين فسنتعرف على أهمية الحث والرجوع إلى القرآن فإنه أحسن الحديث ونتعرف على ما موجود في القرآن الكريم من الأمور المهمة من أصول الدين وفروعه وغيرها من الأمور المهمة، ومحاولة ترجمة ما في القرآن الكريم من مبادئ على شكل خطب تتماشى مع المواقف والحالات، وهنالك نوع من الإعراض على القرآن الكريم وحاول الإمام (سلام الله عليه) أن يركز هذه المكانة في نفوس المسلمين عن طريق ربط الناس بالقرآن الكريم عن طريق الخطب، ونكتفي هنا بتوضيح بعض مكانة وأوصاف والحث على القرآن الكريم في نهج البلاغة وسيكون على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أهمية القرآن الكريم في نهج البلاغة:

أن الإمام علي (سلام الله عليه) هو أعلم الناس بعد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرآن الكريم فالإمام (سلام الله عليه) يبين ويوضح لنا في كثير من كلامه عن أهمية القرآن الكريم ومن هذا الكلام:

أولاً: يقول الإمام علي (سلام الله عليه) في الخطبة 122: ((وإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِيَ مَا فَارَقْتُهُ مُنْذُ صَحِبْتُهُ))[1].

المراد من كلام الإمام علي (سلام الله عليه) بأن القرآن الكريم معه لفضا ومعنى لن يفارقه وملازماً له منذ نزوله على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[2]. وشبه هذا تلازمه بالكتاب العزيز بالصحبة والرفقة الدائمة[3].

ويذهب الباحث مما تقدم إلى أن الإمام علي (سلام الله عليه) يبين أهمية القرآن الكريم وعلى أن يكون ليس قراءةً فقط بل العمل به وكذلك تبين مكانته الشريف وقربه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثانياً: يقول الإمام علي (سلام الله عليه) في الخطبة 147: ((وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرَ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَلاَ أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفَ مِنَ المُنكَرِ! فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ; فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لاَ يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ; فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ! لِأَنَّ الضَّلاَلَةَ لاَ تُوَافِقُ الْهُدَى، وَإِنِ اجْتَمَعَا. فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ، وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلاَّ اسْمُهُ، وَلاَ يَعْرِفُونَ إِلاَّ خَطَّهُ وَزَبْرَهُ))[4].

يقول ابن ميثم: ((وأبور أي: اكسد))[5]. وقوله (سلام الله عليه): (وتلي حق تلاوته)، ((أي: وضع مواضعه، وفسّر كما هو المراد، و تحريفه عن مواضعه: حمله على غير محامله))[6].

قوله (سلام الله عليه): ((وَلاَ فِي الْبِلاَدِ شَيءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفَ مِنَ المُنكَرِ))، يقول محمد تقي الشوشتري: (ت: 1415هـ): ((في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله: يأتي بعدي زمان لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، فعجبوا، فقال: يأتي زمان يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف، فعجبوا أكثر، فقال: يأتي زمان يصير المعروف عندهم منكرا، والمنكر معروفا.

وفي الحلية في أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك: ما أعرف اليوم شيئا مما كنا عليه على عهد النبي صلى الله عليه وآله، قيل: فأين الصلاة؟ قال: أو لم تضعوا في الصلاة ما قد علمتم))[7].

قوله (سلام الله عليه): (فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ)، يقول محمد جواد مغنية:(ت: 1400هـ): ((حيث تلاعبوا بتأويل آياته، وتحايلوا على التزاماته واتخذوا من الدين مطية لبلوغ المآرب والغايات.

(فالكتاب يومئذ وأهله طريدان منفيان)؛ لأن الناس أو كثيراً منهم أعرضوا عن كتاب الله وشريعته، واعتنقوا مذاهب إلحادية، وفلسفات مادية تهدف الى المكاسب والأرباح. (وصاحبان مصطحبان)، أهل الحق مع القرآن، والقرآن معهم يسيران (في طريق واحد) يؤدي بسالكه الى الأمان من المهالك (لا يؤويهما مؤو) العدو يحارب عدوه، وينكل به، فكيف يقبله ويؤويه؟ (فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس، وليسا فيهم). هما في الناس دلالة لا أثرا، وفي قيام الحجة، وقطع المعذرة، أما من حيث العمل فلا مكان لهما عند أعداء الله والانسانية.

(لأن الضلالة لا توافق الهدى) ولو توافقا لانتفى التعدد، وكان الناس أمة واحدة على الهدى، أو في ضلال مبين. (وان اجتمعا) في مكان واحد فكالخصمين يجتمعان في مجلس القضاء (فاجتمع القوم على الفرقة). اتفقوا على أن لا يتفقوا. (وافترقوا عن الجماعة)، تفرقوا على أن لا يجتمعوا. و بكلمة ان الإمام يحث على الوفاق والالفة، وينكر الفرقة والاختلاف تماما كقوله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}[8]. وقيل في معناه غير ذلك، وهو خلاف الظاهر، أما البينات التي جاءت المسلمين فهي القرآن الكريم وسنّة الرسول العظيم، ولذا قال الإمام: (كأنهم أئمة الكتاب، وليس الكتاب إمامهم)، في القرآن كل ما يحتاج إليه المسلمون من أمور دينهم، والسنّة شرح له وبيان، وإذن، فالقرآن أصل الأصول، و الإمام المتبع، ومن أخذ برأيه واجتهاده دون القرآن فقد جعل من نفسه إماما، و القرآن مؤتما به، أراد ذلك، أم لم يرد. و تسأل: وهل يوجد في المسلمين من يتعمد مخالفة القرآن في شيء؟ الجواب:

لا فرق من حيث المسؤولية والمؤاخذة بين من يخالف القرآن عن قصد، وبين من يخالفه من غير قصد إذا كان هذا جاهلا، أو لا يملك من العلم ما يستخرج به الأحكام من القرآن، أو كان مقلدا لغير المجتهد العادل مع التقصير في السؤال والبحث.

(فلم يبق عندهم منه إلا اسمه) ومن كلام آخر للإمام: لا يبقى فيهم من القرآن إلا رسمه، ومن الاسلام إلا اسمه. (ولا يعرفون إلا خطه و زبره) أي كتابته وتسطيره، وقد يعلقونه حرزا في الرقاب، أو يربطونه في السواعد، وما عدا ذلك فليس بمهم.. اللهم إلا التلاوة من الاذاعة وفي المأتم))[9].

ويقول مصطفى الحسيني الطباطبائي: ((أصل هذا الكلام مروي عن رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام شطرا منه و بينه بأفضل بيان وتفصيل. روى الكليني في الروضة من الكافي بسنده عن أبي عبد الله الصادق [عليه السلام] قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم): (سيأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه و من الإسلام إلا اسمه، يسمّون به وهم أبعد النّاس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزّمان شرّ فقهاء تحت ظلّ السّماء، منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود!))[10].

يرى الباحث أن الإمام علي (سلام الله عليه) يبين مدى أهمية القرآن الكريم وأن من يتعلق به يكون بأمن وأمان ومن يتخلى عنه يهلك، وكذلك يبين مدى خطورة التفسير بالرأي، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي القرآن الكريم كل ما تحتاجه البشرية موجود فيه فيجب الرجوع إليه بكل صغيرة وكبيرة والسنّة الشريفة هي المبينة له.

ثالثاً: يقول الإمام علي (سلام الله عليه) في الخطبة 158: ((فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ، ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلاَ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ المَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ))[11].

قال ابن ميثم في كتابه اختيار مصباح السالكين: (ت: 689هـ): ((والذي صدقه بين يديه هو: التوراة والانجيل، وكل امر تقدم امرا منتظرا قريبا منه يقال انه جاء بين يديه. ولفظ النور القرآن واستنطاقه: استماع فوائده منه عليه السلام، اذ هو لسان الكتاب، و دل عليه بقوله: و لن ينطق، الى قوله عنه))[12].

وأمّا قوله (سلام الله عليه): (أَلاَ إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي)، فقال الكرمي:((اما غيب المستقبل فعلمه عند الله يطلع عليه من يشاء من أمنائه، وَالْحَدِيثَ عَنِ المَاضِي، لا بداعي قص الاخبار بل بداعي العظة و الاعتبار، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، اى كل اوجاعكم الروحية و ادوائكم الاخلاقية هو دوائها الوحيد بجليل ارشاداته وبليغ ابلاغاته، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ، اي هو الناظم لكم نظم السلك للخرزات حيث لا تصادم معه و لا تزاحم مع المشي على سنته مضافا الى عظمة قوانينه و احقاقه الحق الواقعى و ابطاله كل زائف ومنحرف))[13].

واتضح للباحث أن مولانا أمير المؤمنين (سلام الله عليه) في كلامه هنا يبين أهمية القرآن الكريم فهو النور الساطع الذي ينير دربنا والشفاء لما في الصدور والذي ينظم لنا الحياة الدنيا بشتى مجالاتها والفوز بالجنة من خلال أخذ العظة والاعتبار من القرآن الكريم وأخذ تعاليمه وفوائده من مولانا أمير المؤمنين (سلام الله عليه) لأنه هو أعلم الناس من بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرآن الكريم.

رابعاً: يقول الإمام علي (سلام الله عليه) في الحكمة 313: ((وَفِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ))[14].

المراد من قول الإمام علي (سلام الله عليه) يقول البهيقي: (ت: 565هـ): ((قوله: في القرآن نبأ ما قبلكم، عنى به الامور الماضية، وخبر ما بعدكم، يعنى به أمور الآخرة))[15]. ويقول عباس القمي: (ت: 1359هـ): ((في القرآن نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم. الأقسام الثلاثة كلّها موجودة في القرآن، فنبأ ما قبلهم أخبار القرون الماضية، وخبر ما بعدهم ذكر أحوال الموت والقيامة والوعد والوعيد وغيرها، وحكم ما بينهم بيان الأحكام الخمسة المتعلّقة بأفعالهم))[16]. ويقول جعفر الحسيني: ((نبأ ما قبلنا أي خبرهم في قصص القرآن، ونبأ ما بعدنا الخبر عن مصير امورهم، وهو يعلم من سنّة الله فيمن قبلنا، وحكم ما بيننا في الأحكام التي نص عليها))[17].

ومن ما تقدم تبين أن الإمام علي (سلام الله عليه) يبين لنا أهمية القرآن الكريم لما فيه من أمور مهمة وهي أخبار عن الأمم الماضية لأخذ العظة والإعتبار منهم، وأيضاً الأخبار بالمستقبل كعالم الموت والبرزخ والقيامة وغيرها وهي أحد أصول الدين ومن لم يعتقد بها فهو كافر، وكذلك بيان جميع الأحكام المتعلقة بأفعال الإنسان.

المطلب الثاني: الإرجاع إلى القرآن الكريم والتحريض عليه:

نجد كثيراً في كلام الإمام علي (سلام الله عليه) يحث على الرجوع إلى القرآن الكريم والتعلق والعمل به فهو دستور الحياة، ومن هذا الحث والتشجيع نستنبط مكانة القرآن الكريم عند مولانا أمير المؤمنين (سلام الله عليه) ومن هذه الكلمات:

أولاً: يقول الإمام علي (سلام الله عليه) في الخطبة 110: ((وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآن فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاَوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ.

وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَلْوَمُ))[18].

سمي القرآن حديثا لقوله تعالى: {نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا}[19] ولأنه يتجدد فهو حديثاً على عكس القديم.

وقوله: (فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ)، هذا يعود إلى قوله تعالى: { قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُور}[20].

ثم سماه بالقصص اتباعا لما ورد في الذكر الحكيم من قوله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ}[21].[22].

إن الإمام علي (سلام الله عليه) في قوله: (وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث– إلى –فإنه أنفع القصص) فجميع هذه الكلمات الشريفة: (وتعلموا، وتفقهوا، واستشفوا، وأحسنوا) يؤكد ويصر على العلم والعمل بالقرآن الكريم، وعلى فهم المعاني لا على الألفاظ، وعلى التدبر فيه لا على التغني، وعلى فهم الحلال والحرام، وعلى التمييز بين الحق والباطل، والخوف من إنذارات الله عزوجل ووعيده، أن الله عزوجل ما أنزل القرآن لنكون أوعية له، أو لنطبعه ونجلده، بل لنطبق تعاليمه ونسير على خطاه.

وأمّا قوله (سلام الله عليه): (وأن العالم العامل بغير علمه– إلى –وهو عند الله ألوم)، أن مسئولية العالم تختلف عن الجاهل؛ لأن العالم عندما يفعل فعل يفعله عن قصد وعمد، على عكس الجاهل عندما يفعل ليس بقصد وعمد، بل أن وز الجاهل يكون على العالم إذا أهمله ولن يرشده، أو أرشده إلى غير الحق؛ لأن مسؤولية القائد أكبر وأعظم من مسؤولية المقود[23]، فقد روي عن أمير المؤمنين (سلام الله عليه) أنه حدث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه))[24]، ((لأن القائد مخيّر، والمقود أشبه بالمسير))[25].

وتبين للباحث أن مولانا الإمام علي (سلام الله عليه) يبين أهمية القرآن الكريم من خلال الحث والتأكيد على تعلم القرآن الكريم وتعليمه والتفقه به والتدبر في آياته الشريفة والعمل به والرجوع إليه والسير على نهجه.

ثانياً: يقول الإمام علي (سلام الله عليه) في الخطبة 156: (وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، وَالرِّيُّ النَّاقِعُ، وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ، وَالنَّجَاةُ لَلْمُتَعَلِّقِ، لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَامَ، وَلاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلاَ تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ، وَوُلُوجُ السَّمْعِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ)[26].

أن المراد من قوله (سلام الله عليه): (وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ)، تشجيع وحث للناس بملازمة القرآن الكريم بالتعلق والعمل به. وأمّا قوله: (فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ)، القوي الذي لا ينقطع. (وَالنُّورُ الْمُبِينُ)، الضياء الواضح الساطع. (وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ)، فهو دواء لكل داء. (وَالرِّيُّ النَّاقِعُ)، أي يبرد الأكباد ويطفئ حرارة الضمآن ويطفئ الغلة. (وَالْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ)، يمنع من الزلل لكل من يتمسك به. (وَالنَّجَاةُ لَلْمُتَعَلِّقِ)، ينجي من جميع الأسواء لكل من يتعلق به. (لاَ يَعْوَجُّ فَيُقَامَ)، لا يعتريه الميل لكي يحتاج إلى مقوم يقيمه من عوجه. (وَلاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ)، ولا يميل عن طريق الحق فيرجع

عما يخالف الحق. (وَلاَ تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ)، لا يمل عند كثرة تكراره على الألسنة فعلى عكس سائر الكلام فإنه إذا كثر تكراره استركّ وملّ واسترذّل. (وَوُلُوجُ السَّمْعِ)، وكذلك دخوله في الأسماع فما يزال غضا طريا لا يمل. (مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ)، أي أن كل قول كان مطابقاً له فهو صدق. (وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ)، فإن كل من عمل بأحكامه سبق إلى الجنة[27].

تبين للباحث أن الإمام علي (سلام الله عليه) يحث البشرية بالرجوع إلى القرآن الكريم والتعلق والتمسك بهذا لكتاب السماوي الذي ينظم الحياة البشرية في الدنيا والآخرة فقال تعالى:
{إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ}[28]، فكل من عمل به نال رضا الله عزوجل وعاش سعيدا في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: ويقول الإمام علي (سلام الله عليه) في الخطبة 167: ((إِنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ اَلْخَيْرَ وَاَلشَّرَّ فَخُذُوا نَهْجَ اَلْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَ اِصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ اَلشَّرِّ تَقْصِدُوا))[29].

بهذه الكلمات افتتح الإمام علي (سلام الله عليه) خطبته الشريفة في بداية خلافته بذكر القرآن الكريم كي يشهدهم إليه ويشجعهم للعمل به فقال إن الله عزوجل أنزل القرآن على نبيه الخاتم كتابا هاديا يهدي إلى الخير وطريق الحق اليقين يدعو إلى الهدى وقد بيّن فيه الخير ليقرب الإنسان من رضوانه والشر الذي يبعد الإنسان عن جنانه ليكون سيرة وتصرف كل منهما حجة على الإنسان أو حجة له ثم أمرهم (سلام الله عليه) أن يسلكوا نهج الخير فيهتدوا وأمرهم أن يعرضوا عن طريق الشر فيخرجوا عن الإنحلال والإنحراف ويدخلوا في طريق الحق والاعتدال والاستقامة[30].

رابعاً: ويقول الإمام علي (سلام الله عليه) في الخطبة 176: ((وَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَسَبَبُهُ الأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جَلاَءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ الْمُتَنَاسُونَ))[31].

هنا الإمام علي (سلام الله عليه) يبين عظمة القرآن الكريم ولم ينصح أحدا بمثله فقال ابن أبي الحديد: (ت: 656هـ): ((إنما جعله حبل الله لأن الحبل ينجو من تعلق به من هوة والقرآن ينجو من الضلال من يتعلق به.

وجعله متينا أي قويا لأنه لا انقطاع له أبدا وهذه غاية المتانة والقوة.

ومتن الشيء بالضم أي صلب وقوي وسببه الأمين مثل حبله المتين وإنما خالف بين اللفظين على قاعدة الخطابة.

وفيه ربيع القلب لأن القلب يحيا به كما تحيا الأنعام برعي الربيع.

وينابيع العلم لأن العلم منه متفرع كما يخرج الماء من الينبوع و يتفرع إلى الجداول و الجلاء بالكسر مصدر جلوت السيف يقول لا جلاء لصدأ القلوب من الشبهات و الغفلات إلا القرآن. ثم قال إن المتذكرين قد ذهبوا وماتوا و بقي الناسون الذين لا علوم لهم أو المتناسون الذين عندهم العلوم و يتكلفون إظهار الجهل لأغراض دنيوية تعرض لهم وروي والمتناسون بالواو))[32].

فالقرآن الكريم يدعو إلى الحياة القائمة على الإيمان والعلم والعمل، وبدونها يموت الإنسان فلا يحيا، فإن من يحي الإنسان هو قلبه ويغمره بالإيمان، لأنه يعتبر مركز الحياة فحياة الإنسان بقلبه، فيقول الستراوي: ((.. بدون القرآن و بدون البرنامج السماوي لا حياة للإنسان، فالكفر موت بطيء له، وهو تجسيد لكل معاني الجهل والظلام والخرافة، وهو انحراف حقيقي عن المعنى الواضح للحياة، والخط الأصيل للقرآن، الذي لا يتحقق إلا بالعلم والإيمان، يتوّجهما العمل الصالح الدءوب، و الحياة المستمرة في الدنيا و الآخرة..))[33].

تبين ممّا تقدم أن الإمام علي (سلام الله عليه) يؤكد على الرجوع إلى القرآن الكريم والتمسك به بالعلم والعمل، وبحسب القرآن، فإن الحياة أكثر من مجرد مجموعة من الوصلات الجسدية التي تقتصر على حدود الأرض، بل هي حياة يكون من ضمنها البقاء على الأرض، فإن القرآن لا يبطل الحياة على الأرض، فهي واقع بيّنه القرآن وبين كيفية الاستفادة منها والتكيّف مع طبيعته، بشرط ألا يفقد الإنسان إنسانيته، وينزل إلى الحيوانية، ويكون ذلك من خلال مشروع دائم بالنسبة للإنسان الموجود في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: صفات القرآن الكريم في نهج البلاغة:

نجد أن الإمام علي (سلام الله عليه) في عديد من خطبه يبين صفات القرآن الكريم ومنزلته فعندما نتعرف على هذه الصفات التي ذكرها الإمام علي (سلام الله عليه) سنعرف من خلالها مكانة القرآن الكريم في نهج البلاغة ومن هذه الصفات:

أولاً: يقول الإمام علي (سلام الله عليه): في الخطبة 1: ((كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ، مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ))[34].

في قوله (سلام الله عليه): (كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ، مُبَيِّناً حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ)، الحلال هو الذي يثاب على فعله الإنسان في الآخرة كالصلاة والصوم، والحرام عكسه حيث أن الله عزوجل يعاقب فاعله يوم القيامة كالربا والزنا.

قوله (سلام الله عليه): (وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ)، الفرائض هي الواجبات التي فرضها الله عزوجل على المكلّف ولا يجوز له تركها بدون عذر شرعي والفضائل هي المستحبات كالصدقة والنوافل.

قوله (سلام الله عليه): (وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ)، فالناسخ هو الحكم الرافع والمنسوخ هو الحكم المرفوع كما في آية النجوى فالناسخ كقوله تعالى: { أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ}[35] والمنسوخ قوله تعالى: {يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَينَ يدَى نَجْوَاكمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِك خَيرٌ لَّكمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[36].

قوله (سلام الله عليه): (وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ)، الرخصة هو ما جاء تخفيفا من الله عزوجل للناس تسهيلا ورفقا بهم كالإفطار في شهر رمضان لمن يضره الصوم، والعزائم ما جاء تشديدا من الله عزوجل وفيه إرادة مؤكدة وهو خلاف الرخص.

قوله (سلام الله عليه): (وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ)، الخاص هو الحكم المخصوص لشخص معين كبعض خصائص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والعام وهو عكس الخاص اي الحكم الشامل لجميع المكلفين كالصلاة والزكاة كما في قوله تعالى: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}[37].

قوله (سلام الله عليه): (وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ)، العبر ومفردها العبرة وهي مأخوذة من العبور اي انتقال الجسم من مكان إلى آخر والمقصود بها هنا انتقال الذهن من شيء إلى شيء آخر بسبب من الأسباب ومعنى أن القرآن ممتلئ بالعبر والأمثال كقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}[38] والآيات كثيرة.

والأمثال كقوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ}[39]وغيرها من الآيات المذكورة في هذا المجال فيكون له أثر كبير في النفس ليأخذ العبد العظة والاعتبار من الأقوام السابقة وهذا من لطف الله عزوجل.

قوله (سلام الله عليه): (وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ)، المرسل هو المطلق كقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً}[40].

والمحدود عكس المطلق وهو المقيد كقوله تعالى: {تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ}[41].

قوله (سلام الله عليه): (وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ)، قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ}[42] فالمحكم هو ما كان واضحا معناه، والمتشابه ما لم يكن واضحا معناه ويحتاج إلى التأويل وهو عكس المحكم كقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}[43]وغيرها من الآيات المتشابهة.

قوله (سلام الله عليه): (مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ وَمُبَيِّناً غَوَامِضَهُ)، يشير الإمام علي (عليه السلام) إلى أن في القرآن الكريم ألفاظ مجملة وهذه الألفاظ تحتاج إلى التفسير والتبين وكذلك الأمور الغامضة.

قوله (سلام الله عليه): (بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ)، مأخوذ ميثاق علمه فهنا يبين الإمام علي (سلام الله عليه) أن الأحكام الواجبة تكون على قسمين منها ما كلف الله عزوجل العباد العلم به وهو العلم بأصول الدين كتوحيد الله عزوجل والنبوة والإمامة حيث أن الله عزوجل قد أخذ الميثاق منهم في عالم الذر كما في قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ}[44].

وموسع على العباد في جهله، فقسم آخر من هذه الأحكام لا يجب على الناس علمه كمعرفة أوائل السور وغيرها[45].

قوله (سلام الله عليه): (وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ)، يبين الإمام علي عليه (سلام الله عليه) بأن في القرآن الكريم بعض الأحكام الثابتة وجوبا وتنسخها السنّة، وهنا يصرح الإمام (سلام الله عليه) أن السنّة قد تنسخ الكتاب والدليل قوله تعالى: { وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ}[46]. فمعنى الآية الشريفة أن النساء الزانيات يحبسن في البيوت حتى الممات ونسخت هذه الآية بالقرآن الكريم بالجلد مائة مرة للمحصن والمحصنة فقال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ}[47]. وبالرجم الثابت في السنّة الشريفة.

يقول الإمام (سلام الله عليه): (وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ)، وهذا عكس السابق أي ما جاء وجوبه في السنّة الشريفة كما في التوجه لبيت المقدس في بداية الإسلام وجاء النسخ في القرآن الكريم وأمر بالتوجه نحو المسجد الحرام فقال تعالى: {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}[48].[49].

يقول الإمام (سلام الله عليه): (وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ)، وبين واجب بوقته وهي الواجبات التي لها وقت محدد وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ فتزول بزوال وقتها كالحج والنذر المقيد وصلاة الجمعة والعيدين وغيرها.

يقول (سلام الله عليه): (وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ)، يقول ابن أبي الحديد:((ثم قال عليه السلام: و مباين بين محارمه الواجب أن يكون ومباين بالرفع لا بالجر فإنه ليس معطوفا على ما قبله ألا ترى أن جميع ما قبله يستدعي الشيء وضده، أو الشيء و نقيضه، و قوله: و مباين بين محارمه لا تفيض و لا ضد له لأنه ليس القرآن العزيز على قسمين أحدهما مباين بين محارمه والآخر غير مباين فإن ذلك لا يجوز فوجب رفع مباين و أن يكون خبر مبتدأ محذوف ثم فسر ما معنى المباينة بين محارمه فقال إن محارمه تنقسم إلى كبيرة وصغيرة فالكبيرة أوعد سبحانه عليها بالعقاب والصغيرة مغفورة وهذا نص مذهب المعتزلة في الوعيد.

ثم عدل عليه السلام عن تقسيم المحارم المتباينة و رجع إلى تقسم الكتاب فقال: وبين مقبول في أدناه وموسع في أقصاه كقوله: { فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}[50]. فإن القليل من القرآن مقبول والكثير منه موسع مرخص في تركة))[51].

يقول محمد حسين علي الصغير حول كلام مولانا الإمام علي (سلام الله عليه): ((وهذا التقسيم عجيب في أدائه، فقد بين سنن القرآن وفرائضه، وعلوم القرآن و معارفه، ورخص القرآن وعزائمه، بما لم يسبق إليه من ذي قبل، وقد أشار إليها أرباب الصناعة بعد زمان، وكان هو الواضع لأسسها، والمبتكر لاصطلاحاتها، وحسبك في ذلك غنية عن تمحل الأقوال، وطلب المعارف إلى غير أهلها، فكان بذلك علما لائحا، ومنارا شامخا، ودليلا قائما، ومثالا شاخصا، لا يدرك ساحله، ولا يسبرغوره، ولله درّه من متمرس بعلوم القرآن فهو مدون مصطلحاتها منذ عهد مبكر، ومبرمج صنوفها حين استعصى على غيره تمييزها و تقعيدها.. ومما تقدم يبدو لنا مدى حاجة المفسر إلى الدراسات التخصيصية الدقيقة، و الفنون العلمية المتشعبة التي تمهد له الطريق ليكون عمله في التفسير متسما بالدقة، وجهوده مقاربة للسداد، فلا تغيب عنه شاردة بالأعراض، ولا يفر منه موروث بالتلكؤ، لتلتقي عنده اللغة بالأسلوب، و الفكر بالخصائص، والفن بقرائن الأحوال..))[52].

ويرى الباحث أن الإمام علي (سلام الله عليه) يوضح ويبين للناس ما موجود في القرآن الكريم من الأمور المهمة من أصول الدين وفروعه وغيرها، وكما تبين وجود وجواز النسخ في القرآن الكريم والسنّة الشريفة، وأيضا في القرآن الكريم أمور غامضة فتحتاج إلى التفسير والتبين ويبين الإمام (سلام الله عليه) بأنه يجب على المفسر المعرفة التامة والضبط والتمرس والتأمل بجميع هذه العلوم، وكذلك يوجد في القرآن ما يحتاج إلى التأويل وهذا التأويل خاص بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) فقال تعالى: { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}[53]. فمن يتبع طريق الحق والسير على نهج القرآن الكريم والنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) يحضى برضا الله عزوجل والفوز في الدنيا والآخرة.

ثانياً: يقول الإمام علي (سلام الله عليه) في الخطبة 125: ((هذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطورٌ[54] بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلاَ بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ))[55].

أن الإمام (سلام الله عليه) هنا يدعو إلى الولاية التي هي المدخل لفهم القرآن الكريم، فان المراد من (بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ)، يقول ابن أبي الحديد: (ت: 656هـ): ((دفتا المصحف جانباه اللذان يكتفانه و كان الناس يعملونهما قديما من خشب و يعملونهما الآن من جلد يقول ع لا اعتراض علي في التحكيم وقول الخوارج حكمت الرجال دعوى غير صحيحة و إنما حكمت القرآن و لكن القرآن لا ينطق بنفسه ولا بد له ممن يترجم عنه والترجمان بفتح التاء وضم الجيم هو مفسر اللغة بلسان آخر و يجور ضم التاء لضمة الجيم قال الراجز: كالترجمان لقي الأنباطا))[56].

وأمّا قوله (سلام الله عليه): (وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ): يقول محمد تقي الشوشتري: (ت: 1415هـ) في كتابه بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ((فالحاكم في الحقيقة هو، لا الرجال، كالمترجم عن القاضي))[57].

تبين للباحث أن الإمام علي (سلام الله عليه) يبين بعض صفات القرآن الكريم فهذا القرآن ليس له لسان ينطق بكلماته ولا بد له من رجال اصطفاهم واختارهم الله عزوجل لترجمة وتفسير وتبين هذا القرآن للناس وهم النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) فيقول تعالى في محكم كتابه الحكيم: { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}[58].

ثالثاً: يقول الامام علي (سلام الله عليه) في الخطبة 133: ((وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، نَاطِقٌ لاَ يَعْيَا لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لاَ تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ)[59].

أن المراد من قوله (سلام الله عليه): (وَكِتَابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ)، اي أن كلام الله عز وجل موجود ولم يرتفع عنكم وهو بين أيديكم وأنتم تجهلون أحكامه وحلاله وحرامه.

ولفظ (نَاطِقٌ لاَ يَعْيَا لِسَانُهُ)، فإن النطق من باب الاستعارة فإنه ناطق للحقيقة؛ لأن من خلال هذه الكتابة يصل مراد الله عزوجل إلى البشرية أجمع في مختلف الأوقات والأزمان إلى قيام الساعة.

ويجوز أن يكون استعارة لنفسه الشريف أي عندما يقول (سلام الله عليه) ناطق لا يعيا لسانه، اي لن يقصر سلام الله عليه في بيانه وتبليغه للأحكام.

وقوله: (وَبَيْتٌ لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ)، فهنا عليه السلام يشبه كتاب الله عز وجل في البيت القوي المتماسك التي تكون أركانه راسخة وقوية وهو يحفظ أهله فكذلك القرآن الكريم فهو يحفظ البشرية من الإنحلال ويهدي الى الرشاد لكل من يعمل به وأن هذه الأركان هي القواعد الكلية التي يبنى عليها هذا النظام العالمي من المواعظ والحكم والحلال

والحرام والأوامر والنواهي وهي تتجدد و صالحة لكل زمان ومكان، وهكذا ولاية مولانا أمير المؤمنين (سلام الله عليه) فهي تحفظ الإنسان من الضلال في الدنيا والآخرة من عذاب السعير وغضب الجبار العظيم.

أمّا قوله: (وَعِزٌّ لاَ تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ)، فهو عزٌّ دائم أبدي لا يهزم ولا يعرض له ذلّ وأعوانه هم الله عزوجل وملائكته وأوليائه وهؤلاء لا يهزمون أبداً[60].

ويذهب الباحث إلى أن كلام الإمام علي (سلام الله عليه) له بعدان، الأول يبين صفات القرآن الكريم ومنزلته ويجب العمل به ليحفظ الإنسان من الإنحلال والإنحراف ويبني له حياة هنيئة في الدنيا والآخرة. والبعد الثاني يبين الإمام (سلام الله عليه) مكانته الشريف ووجوب ولايته واتباعه فيقول (سلام الله عليه): (ذلك الكتاب الصامت وأنا القرآن الناطق)[61] فمن اعتقد بولايته وإمامته واتبع هذا القرآن يفوز برضا الله عزوجل في الدنيا والآخرة كما روي عن جابر بن عبد الله، قال : كنا عند النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) فأقبل [سلام الله عليه]، فقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): (والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة)[62].

رابعاً: ويقول الإمام علي (سلام الله عليه) أيضاً في الخطبة 133: ((كِتَابُ اللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلى بَعْضٍ، وَلاَ يَخْتَلِفُ فِي اللهِ، وَلاَ يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللهِ))[63].

قوله (سلام الله عليه): (كِتَابُ اللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ) يقول ابن ميثم: (ت: 689هـ): ((أي تهتدون لمقاصدكم الدنيّوية والاخرويّة.

قوله (سلام الله عليه): (وَتَنْطِقُونَ بِهِ)، أي: في الفتوى والاستدلال والقصص ونحوه.

وَتَسْمَعُونَ بِهِ، أي: ما ينفعكم من الموعظة الحسنة والعبر النافعة))[64].

وقوله (سلام الله عليه): (وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ)، يقول دنبلي خويي: (ت: 1325هـ): ((اشارة إلى تفسير بعضه ببعض كالمبيّن المفسّر للمجمل و المقيّد المبيّن للمطلق و المخصّص المبيّن للعامّ))[65].

أمّا قوله (سلام الله عليه): (وَلاَ يَخْتَلِفُ فِي اللهِ، وَلاَ يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللهِ)، يقول التميمي: ((لا يختلف في الدلالة على الله وصفاته، أي لا يتناقض.

وأمّا قوله (سلام الله عليه): ولا يخالف بصاحبه عن الله، لا يأخذ بالإنسان المعتمد إلى غير الله[عزوجل]))[66].

وأن هذا القول لمولانا أمير المؤمنين (سلام الله عليه) أحد الأدلة التي استدل بها مجموعة من أعلام المفسرين من الفريقين بتفسير القرآن بالقرآن مثل الطبري والرازي والطبرسي والطوسي والطباطبائي[67].

تبين للباحث أن الإمام علي (سلام الله عليه) يبين للناس صفات القرآن الكريم الذي هو كتاب هداية للبشر لما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى: {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}[68]. ويبين أيضا جواز تفسير القرآن بالقرآن.

النتائج:

1. من كلام الامام علي (سلام الله عليه) نتعرف على مقام القرآن الكريم.

2. يتبين لنا العلاقة الخاصة بين القرآن الكريم وأمير المؤمنين (سلام الله عليه).

3. من كلام الإمام علي (سلام الله عليه) يتم التعرف على أهمية الحث والرجوع إلى القرآن الكريم فإنه أحسن الحديث.

4. إن الإمام (سلام الله عليه) هو المبين والقيّم للقرآن الكريم فمن كلامه نتعرف على ما موجود في القرآن الكريم من الأمور المهمة من أصول الدين وفروعه وغيرها.

5. إن موضوع النسخ أمر مهم للغاية فمن خلال كلام الإمام علي (سلام الله عليه) في نهج البلاغة يتبين وجود النسخ وجوازه في القرآن الكريم والسنّة الشريفة.

6. إن خطب الإمام (سلام الله عليه) ورسائله وحكمه عبارة عن معارف غزيرة جداً ومن ضمن هذه المعارف سنتعرف على جواز تفسير القرآن بالقرآن ومعرفة خطورة التفسير بالرأي، وأيضا في القرآن الكريم أمور غامضة فتحتاج إلى التفسير والتبين ويبين الإمام علي (سلام الله عليه) بأنه يجب على المفسر المعرفة التامة والضبط والتمرس والتأمل بجميع هذه العلوم، وكذلك يوجد في القرآن ما يحتاج إلى التأويل وهذا التأويل خاص بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين) فقال تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}. فمن يتبع طريق الحق والسير على نهج القرآن الكريم والنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت(صلوات الله عليهم أجمعين) يحضى برضا الله عزَّ وجل والفوز في الدنيا والآخرة.

الهوامش:

1(الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، ص234.

2) ظ: هاشمي خويي، حبيب الله بن محمد، **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**، ص141؛ الموسوي، عباس علي، **شرح نهج البلاغة**، ص336.

3) ظ: الموسوي، محسن باقر، **علوم نهج البلاغة**، ص414.

4) الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، ص267، 268.

5) ابن ميثم، ميثم بن علي، **اختيار مصباح السالكين من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)**، ص309؛ ظ: المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، **شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار**، ج2، ص56؛ الميهرجاني الطباطبائي، محمد حسن، **مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة**، ج2، ص441.

6) ابن ميثم، ميثم بن علي، **اختيار مصباح السالكين من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)**، ص309.

7) الشوشتري، محمد تقي، **بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة**، ج7، ص325.

8) آل عمران:105.

9) مغنية، محمد جواد، **في ظلال نهج البلاغة**، ج2، ص337- 339.

10) الحسيني الطباطبائي، مصطفى، **فتح البيان فيما روي عن علي من تفسير القرآن**، ص33، 34.

11) الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، ص292.

12) ابن ميثم، ميثم بن علي، **اختيار مصباح السالكين من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)** شرح نهج البلاغة الوسيط، ص333.

13) الكرمي، محمد، **بحوث وآراء تبيني الواقع والحضارة الزمنية**، ج1، ص241.

14) الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، ص721.

15) البهيقي، علي بن زيد، **معارف نهج البلاغة**، ص451.

16) القمي، عباس، **شرح حكم نهج البلاغة**، ص156، 157.

17) الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: الحسيني، جعفر، ص559.

18) الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، ص211، 212.

19) الزمر: 23.

20) يونس: 57.

21) يوسف: 3.

22) ظ: ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: ابراهيم، محمد بن الحسين، ج7، ص224، 225.

23) ظ: مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، ج2، 163، 164.

24) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج1، باب: إستعمال العلم، ح1، ص44.

25) مغنية، محمد جواد، **في ظلال نهج البلاغة**، ج2، 164.

26) الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، ص288.

27) ظ: ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، **شرح نهج البلاغة**، ج9، ص204؛ المؤيد، يحي بن حمزة، **الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي**، ج3، ص1267، 1268.

28) الإسراء: 9.

29) الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، ص321.

30) ظ: هاشمي خويي، حبيب الله بن محمد، **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**، ج10، ص420؛ الموسوي، عباس علي، **شرح نهج البلاغة**، ج3، ص98.

31) الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، ص339.

32 ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: إبراهيم، محمد أبو الفضل، ج10، ص32؛ ظ: عبده، محمد، **نهج البلاغة**، ج2، ص115.

33) الستراوي، مهدي، **القرآن نهج وحضارة**، ج15، ص324.

34) الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، ص21، 22.

35) المجادلة: 13.

36) المجادلة: 12.

37) النور: 56.

38) يوسف: 111.

39) البقرة: 265.

40) البقرة: 67.

41) النساء: 92.

42) آل عمران: 7.

43) طه: 5.

44) الأعراف: 172.

45) ظ: قزويني، محمد كاظم، **شرح نهج البلاغة**، ج1، ص96- 99؛ النقوي القائني، محمد تقي، **مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة**، ج1، ص521- 529.

46) النساء:15.

47) النور: 2.

48) البقرة: 144.

49) ظ: الكرمي، محمد، **بحوث وآراء تبيني الواقع والحضارة الزمنية**، ج4، ص116؛ قزويني، محمد كاظم، **شرح نهج البلاغة**، ج1، ص99؛ النقوي القائني، محمد تقي، **مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة**، ج1، ص529-531.

50) المزمل: 20.

51) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، **شرح نهج البلاغة**، ج1، ص122؛ ظ: الكرمي، محمد، **بحوث وآراء تبيني الواقع والحضارة الزمنية**، ج4، 116، 117؛ النقوي القائني، محمد تقي، مفتاح السعادة في **شرح نهج البلاغة**، ج1، ص533- 535.

52) الصغير، محمد حسين علي، **المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق**، ص54- 57.

53) آل عمران: 7.

54) مستور في الطبعة المصرية: 2: 7 والصواب مسطور.

55) الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: قيس بهجت العطار، ص241.

56)ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، **شرح نهج البلاغة**، ج8، ص308.

57)الشوشتري، محمد تقي، **بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة**، ج10، ص619.

58)آل عمران: 7

59) الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، ص250، 251.

60) ظ: ابن ميثم، ميثم بن علي، **شرح نهج البلاغة**، ج3، ص154؛ هاشمي خويي، حبيب الله بن محمد، **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**، ج8، ص308، 309؛ الموسوي، عباس علي، **شرح نهج البلاغة**، ج2، ص392، 393.

61) العلامة المجلسي، **بحار الانوار**، باب: (حبه وبغضه صلوات الله عليه، وأن حبه ايمان وبغضه كفر ونفاق، وأن ولايته ولاية الله ورسوله، وأن عداوته عداوة الله ورسوله، وأن ولايته عليه السلام حصن من عذاب الجبار، وأنه لو اجتمع الناس على حبه ما خلق الله النار)، ح47، ج39، ص272.

62) ابن عساكر، القاسم بن عساكر الدمشقي، **تاريخ مدينة دمشق**، (ترجمة علي ابن أبي طالب [سلام الله عليه])، ج42، ص442.

63) الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، تحقيق: صبحي الصالح، ص251، 252.

64) ابن ميثم، ميثم بن علي، **اختيار مصباح السالكين من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)**، ص293.

65) دنبلي خويي، إبراهيم بن حسين، **الدرة النجفية في شرح نهج البلاغة**، ص175، 176.

66) التميمي، أركان، **صفوة شروح نهج البلاغة**، ص325.

67) ظ: الحيدري، كمال، **أصول التفسير والتأويل**، ص160.

68 الإسراء: 9.

المصادر والمراجع:

☆ القرآن الكريم.

1. هاشمي خويي، حبيب الله بن محمد (ت: 1324هـ)، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: إبراهيم الميانجي، المكتبة الإسلامية، طهران، 1400هـ.
2. القمي، عباس (1359هـ)، شرح حكم نهج البلاغة، تحقيق: باقر قرآنية زرين، مؤسسة نهج البلاغة، طهران، 1376هـ ش.
3. الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق: الحسيني، جعفر، دار الثقلين، قم المقدسة، 1419هـ.
4. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت: 656هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: ابراهيم، محمد بن الحسين، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (ره)، قم المقدسة.
5. المؤيد، يحي بن حمزة (ت: 849هـ)، الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي، تحقيق: خالد بن قاسم المتوكل، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، 1424هـ.
6. عبده، محمد، نهج البلاغة، دار الجوادين، الطبعة الاولى، 1413هـ.
7. الستراوي، مهدي، القرآن نهج وحضارة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1418هـ.

8. قزويني، محمد كاظم (ت: 1415هـ)، شرح نهج البلاغة، السيد محمد كاظم القزويني الحائري، قم المقدسة، 1371هـ.
9. النقوي القائني، محمد تقي، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، مكتبة المصطفوي، طهران.
10. الكرمي، محمد، بحوث وآراء تبيني الواقع والحضارة الزمنية، المطبعة العلمية، قم المقدسة، 1387هـ.
11. الصغير، محمد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار المؤرخ العربي، بيروت، 1420هـ.
12. الموسوي، عباس علي، شرح نهج البلاغة، دار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، بيروت، 1418هـ.
13. الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق: قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات، قم المقدسة، 1431هـ.
14. الإمام علي (سلام الله عليه)، الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق: صبحي الصالح، دار الاسوة للطباعة والنشر، الطبعة العاشرة، 1442هـ.
15. ابن ميثم، ميثم بن علي، شرح نهج البلاغة، دفتر نشر الكتاب، طهران، 1404هـ.
16. المجلسي، محمد باقر(1110هـ)، بحار الانوار الجامع لدرر الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية المصححة، 1403هـ.
17. ابن عساكر، القاسم بن عساكر الدمشقي (ت: 571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
18. ابن ميثم البحراني، ميثم بن علي (ت: 689هـ)، اختيار مصباح السالكين من كلام مولانا وإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق: محمد هادي الأميني، الروضة الرضوية المقدسة، مشهد المقدسة، 1366هـ ش.
19. دنبلي خويي، إبراهيم بن حسين (ت: 1325هـ)، الدرة النجفية في شرح نهج البلاغة.
20. التميمي، أركان، صفوة شروح نهج البلاغة، الاعتصام، قم المقدسة، 1429هـ.
21. الحيدري، كمال، أصول التفسير والتأويل، دار فراقد، قم المقدسة، 1427هـ.
22. الموسوي، محسن باقر، علوم نهج البلاغة، دار العلوم، بيروت، 1423هـ.

23. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت: 1110هـ)، شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الأنوار، تحقيق: ابن أبي الإصبع المصري– علي ميرلوحي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، 1408 هـ.
24. الميهرجاني الطباطبائي، محمد حسن (ت: 1413هـ)، مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة، حسن ميهرجاني طباطبائي، قم المقدسة، 1388هـ.
25. الشوشتري، محمد تقي (ت: 1415هـ)، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، دار أمير كبيرللنشر، طهران، 1376هـ ش.
26. مغنية، محمد جواد (ت: 1400هـ)، في ظلال نهج البلاغة، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.
27. الحسيني الطباطبائي، مصطفى، فتح البيان فيما روي عن علي من تفسير القرآن، تحقيق: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، حلب، 1426هـ.
28. البهيقي، علي بن زيد (ت: 565هـ)، معارج نهج البلاغة، تحقيق: محمد تقي دانش بجوه، المكتبة العامة لآية الله العظمى المرعشي النجفي (ر هـ)، قم المقدسة، 1409هـ.